

وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ ^(١) :

- (١) الشفاعة هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة .
- وأحاديث الشفاعة متواترة . انظر مجموع الفتاوى ٣١٤/١ , منهاج السنة ٢٩٥/٥ .
- والشفاعة أنواع فمن جهة مثبتة أو منفية , ومن جهة أخرى خاصة بالنبي ﷺ أو عامة له ولغيره .
- فالشفاعة المثبتة هي ما توفر فيه شرطان :
- ١/ الإذن من الله . أي أن يأذن الله في هذه الشفاعة .
- ٢/ الرضا من الله . أي أن يرضى الله عن قول هذه الشفاعة .
- وهل يلزم الرضا عن المشفوع له ؟ هذا محل تأمل لأن النبي ﷺ يشفع لعمه أبي طالب , وكذا الشفاعة حاصلة لأهل الكباثر , والله يقول (إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) فدل على أن الرضى هو عن قول الشفاعة وليس عن المشفوع له .
- والشفاعة المنفية هي ما فقد أحد هذين الشرطين .
- والشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ أربعة أنواع :
- ١/ الشفاعة في فصل القضاء يوم القيامة , وهي متفق عليها بين الفرق , وقد ذكرها المؤلف .
- ٢/ الشفاعة في دخول المؤمنين الجنة بعد فصل القضاء , وهي متفق عليها بين الفرق , وقد ذكرها المؤلف .
- ٣/ الشفاعة في دخول بعض المؤمنين الجنة بلا حساب ولا عذاب . وستأتي في الحاشية .
- ٤/ الشفاعة في عمه أبي طالب لتخفيف العذاب عنه . وستأتي في الحاشية .
- والشفاعة العامة للنبي ﷺ ولغيره أربعة أنواع :
- ١/ الشفاعة فيمن استحق النار من عصاة الموحدين ألا يدخلها . وقد ذكره المؤلف . وينظر هل عليها دليل صحيح .
- ٢/ الشفاعة فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها . وقد ذكره المؤلف .
- ٣/ الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة . واستدل لها بعض أهل العلم بقول النبي ﷺ (لأبي سلمة لما توفي) اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ (أخرجه مسلم رقم (٢١٦٩) .
- ٤/ وزاد بعض أهل العلم : الشفاعة فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة . ولم أجد دليلا صحيحاً لهذا النوع فإن لم يوجد له دليل فينبغي حذفه .
- قال ابن القيم في تهذيب السنن (٤٢٤/٢) بعد سياق بعض أدلة الشفاعة : (فَقَدْ تَصَمَّنَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ خَمْسَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الشَّفَاعَةِ .
- أَحَدُهَا : الشَّفَاعَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي يَرْغَبُ فِيهَا النَّاسُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ , نَبِيًّا بَعْدَ نَبِيٍّ , حَتَّى يُرِيحَهُمُ اللَّهُ مِنْ مَقَامِهِمْ .
- النُّوعُ الثَّانِي : الشَّفَاعَةُ فِي فَتْحِ الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا .
- النُّوعُ الثَّلَاثُ : الشَّفَاعَةُ فِي دُخُولِ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةُ .
- النُّوعُ الرَّابِعُ : الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ .
- النُّوعُ الْخَامِسُ : فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ النَّارِ .
- وَيَبْقَى نَوْعَانِ يَذْكُرُهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . أَحَدُهُمَا : فِي قَوْمٍ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ فَيُشَفَّعُ فِيهِمْ أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا . وَهَذَا النَّوعُ لَمْ أَفْ إِلَى الْآنَ عَلَى حَدِيثٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ . وَأَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الشَّفَاعَةَ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَرْبَابِ الْكِبَاثِرِ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ , وَأَمَّا أَنْ يُشَفَّعَ فِيهِمْ قَبْلَ الدُّخُولِ , فَلَا يَدْخُلُونَ . فَلَمْ أَظْفَرْ فِيهِ بِنَصٍّ .
- وَالنُّوعُ الثَّانِي : شَفَاعَتُهُ لِقَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي زِيَادَةِ الثَّوَابِ , وَرَفْعَةِ الدَّرَجَاتِ . وَهَذَا قَدْ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِدُعَاءِ

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى ^(١) ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَجَعَ الْأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ ، وَنُوحٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَى ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ ^(٢) .

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي سَلَمَةَ ، وَقَوْلُهُ " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ " .
 وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ ، وَاجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ " .

— والناس في الشفاعة ثلاثة أنواع :

١/ من غلا في اثباتها وهم النصارى والمشركون وغلاة الصوفية والقبوريون ، حيث أثبتوها لغير الله بغير إذن الله ورضاه .

٢/ من غلا في نفيها وهم المعتزلة والخوارج حيث نفوا الشفاعة في نوعين : أ / لأهل الكبائر إذا دخلوا النار أن يخرجوا منها ، ب / ونفوا الشفاعة لمن استحق دخول النار من أهل الكبائر ألا يدخلها ، واستدلوا ببعض الأدلة منها : قوله تعالى : (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) ، وقوله (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ) ، وقوله (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) .

وأجاب أهل السنة على أدلتهم : بأنه ثبت في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الشفاعة لأهل الكبائر في إخراجهم من النار بعد دخولهم فيها ، وأما الأدلة التي استدلوا بها فهي في حق الكفار وليس المسلمين .
 قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٣٤٢/٢ : (وأما الخوارج والمعتزلة فانهم أنكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ وإجماع خير القرون) .

٣/ من توسط في ذلك وهم أهل السنة والجماعة فأجازوا الشفاعة بشروطها .

(١) وهي التي تسمى الشفاعة العظمى ، والمقام المحمود .

كما قال تعالى : (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) (الإسراء: ٧٩)

وجا في صحيح البخاري رقم (٦١٤) : (مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتَ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)
 والمقام المحمود هو الشفاعة لفصل القضاء بالإجماع .

انظر : التمهيد لابن عبد البر ٦٤/١٩ ، والاستذكار ٥٢٠/٢ .

(٢) كما في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري رقم (٤٧١٢) ، ومسلم رقم (١٩٤) ، وفيه (يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَى ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ فَأَرْفَعْ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمِّي أُمِّي . فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ) .

ووجه الاستدلال بالحديث كما ذكره القرطبي في التذكرة ٢٨٠/١ : (وقوله : فيقال يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم)

وقد تعجَّب شارح الطحاوية من صنيع كثير ممن روى هذا الحديث فإنهم يذكرون الحديث ثم إذا بلغوا قوله (اشفع تشفع) اختصروا الحديث عن الشفاعة في أهل الموقف حتى يقضى بينهم وانتقلوا إلى الكلام عن الشفاعة في إخراج العصاة من النار ، ولذلك فإن البخاري أخرج لهذا الحديث سبع روايات ولم تذكر الشفاعة في فصل القضاء إلا في رواية واحدة كما سبق رقم (٤٧١٢) ، وكذلك مسلم فقد أخرج ثلاث

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ^(١) .
وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ ^(٢) .

روايات ولم تذكر الشفاعة في فصل القضاء إلا في رواية واحدة كما سبق رقم (١٩٤) ، ولذلك قال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية : (وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ ، مِنْ إِبْرَادِ الْأُتَمَّةِ لِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْ أَكْثَرِ طَرَفِهِ ، لَا يَذْكُرُونَ أَمْرَ الشَّفَاعَةِ الْأُولَى ، فِي مَا تَأْتِي الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ ، كَمَا وَرَدَ هَذَا فِي حَدِيثِ الصُّورِ ، فَإِنَّهُ الْمَقْصُودُ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، وَمُقْتَضَى سِيَاقِ أَوَّلِ الْحَدِيثِ ، فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَى آدَمَ فَمِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ وَيَسْتَرْيَحُوا مِنْ مُقَامِهِمْ ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ سِيَاقَتُهُ مِنْ سَائِرِ طَرَفِهِ ، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى الْجَزَاءِ إِنَّمَا يَذْكُرُونَ الشَّفَاعَةَ فِي عَصَاةِ الْأُمَّةِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ . وَكَانَ مَقْصُودُ السَّلَفِ - فِي الْاِقْتِصَارِ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الْحَدِيثِ - هُوَ الرَّدُّ عَلَى الْخَوَارِجِ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، الَّذِينَ أَنْكَرُوا خُرُوجَ أَحَدٍ مِنَ النَّارِ بَعْدَ دُخُولِهَا ، فَيَذْكُرُونَ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ النَّصُّ الصَّرِيحُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبُدْعَةِ الْمُخَالَفَةِ لِلْحَادِيثِ) .

(١) أي لا يؤذن لأهل الجنة بدخول الجنة إلا بشفاعته ، كما في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه مسلم رقم (٥٠٣) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُرْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا أَبَانَا اسْتَفْتَحْ لَنَا الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ أَذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ - قَالَ - فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءِ وَرَاءَ أَعْمَدُوا إِلَى مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا . فَيَأْتُونَ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَقُولُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ . فَيَقُولُ عِيسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ . فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ) .
وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ) . أخرجه مسلم رقم (٥٠٦) .

(٢) وهناك شفاعة ثالثة خاصة بالنبي ﷺ وهي شفاعته في دخول بعض المؤمنين الجنة بلا حساب ولا عذاب ، ويستدل لها بما أخرجه البخاري رقم (٤٧١٢) ومسلم رقم (٥٠١) : (فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا فَأَنْتَلِقُ فَآتَى تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعَ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهَمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تَعْطَهُ اشْفَعْ تَشْفَعْ . فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي . فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ) ، وكذا حديث عكاشة ابن محصن كما عند البخاري رقم (٥٨١١)

ومسلم رقم (٥٤٤) : (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ) بلفظ الشفاعة والدعاء .

ورجح جمع من أهل العلم اختصاص النبي ﷺ بهذا النوع لظاهر حديث عكاشة وحديث تدافع الأنبياء

للشفاعة ، ومال إليه شيخ الإسلام .

انظر : مجموع الفتاوى ٣٩٩/١٤ .

والأكثر على عمومته للنبي ﷺ ولغيره .

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّلَاثَةُ؛ فَيُشَفَّعُ فِيْمَنَ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيُشَفَّعُ فِيْمَنَ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا ^(١) .
وَيُشَفَّعُ فِيْمَنَ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا ^(٢) .
وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ^(٣) .
وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيَنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيَدْخُلُهُمْ

وهناك شفاعاة رابعة خاصة بالنبي ﷺ وهي شفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب كما في البخاري رقم (٣٨٨٥) ومسلم رقم (٥٣٥) وهذا لفظه : (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ : لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ) .
وهذه الشفاعاة مخصصة لقوله تعالى : (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) المدثر : (٤٨) , وهذا اختيار البيهقي وابن حجر .

انظر : فتح الباري ٤٠٩/١٨ .
والقول الثاني : أن (مَعْنَى الْمَنْفَعَةِ فِي الْآيَةِ يُخَالِفُ مَعْنَى الْمَنْفَعَةِ فِي الْحَدِيثِ ، وَالْمُرَادُ بِهَا فِي الْآيَةِ الْإِخْرَاجُ مِنَ النَّارِ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَنْفَعَةُ بِالْتَّخْفِيفِ ، وَبِهَذَا الْجَوَابِ جَزَمَ الْقُرْطُبِيُّ) واختاره ابن أبي العز الحنفي .
انظر : فتح الباري ٤٠٩/١٨ , شرح الطحاوية ص ٢٨٨ .
(١) ودليلها عموم الأحاديث وليس لها دليل خاص , قال ابن القيم في تهذيب السنن ٤٢٤/٢ : (وَهَذَا النَّوعُ لَمْ أَقِفْ إِلَى الْآنَ عَلَى حَدِيثٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ . وَأَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الشَّفَاعَةَ فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ أَرْبَابِ الْكِبَائِرِ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ ، وَأَمَّا أَنْ يُشَفَّعَ فِيهِمْ قَبْلَ الدُّخُولِ ، فَلَا يَدْخُلُونَ . فَلَمْ أَظْفَرْ فِيهِ بِنَصِّ) . قال ابن عثيمين : (وهذه قد يستدل لها بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفّعهم الله فيه" ، فإن هذه شفاعاة قبل أن يدخل النار، فيشفّعهم الله في ذلك) .

وقد خالف في هذه الشفاعاة المعتزلة والخوارج فمنعوها .
(٢) ويستدل لها بما رواه البخاري رقم (٦٥٦٦) : (عَنْ عَمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، يُسَمُّونَ الْجَهَنَّمِيِّينَ ») .

وقد حكي الإجماع عليها , قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٣١٣/١ : (أهل السنة والجماعة متفقون على ما أئفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين واستفاضت به السنن من أنه يشفع لأهل الكبائر من أمته)

وقد خالف في هذه الشفاعاة المعتزلة والخوارج فمنعوها .
(٣) كما عند البخاري رقم (٧٤٣٩) ومسلم رقم (٤٧٢) من حديث أبي سعيد : (فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعْتُ الْمَلَائِكَةَ وَشَفَعْتُ النَّبِيِّينَ وَشَفَعْتُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبُضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ)

الْجَنَّةُ (١) .

وَأَصْنَافُ مَا تَصْمَنَّتْهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ (٢) .

(١) كما عند البخاري رقم (٤٥٦٩) ومسلم رقم (٧٣٥٤) من حديث أبي هريرة : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ فَمَا لِي لَا يَدْخُلَنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ إِنَّمَا أَنْتِ رَحِمِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلَأُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ قَطُّ قَطُّ قَطُّ. فَهَذَا كَ تَمْتَلِي وَيَزُودُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلُمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْشِئُ لَهَا خَلْقًا) .

وجاء عند البخاري رقم (٧٤٤٩) : (وَإِنَّهُ يَنْشِئُ لِلنَّارِ مِنْ يَشَاءُ فَيُلْقُونَ فِيهَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) , وضعف هذا اللفظ جمع من أهل العلم وذكروا أنه مقلوب والصواب أنه (ينشئ للجنة) ومن ضعفها ابن تيمية وابن القيم والبلقيني وابن كثير والألباني .

(٢) وذلك أن أمور الآخرة من الغيبات فلا تثبت إلا بنص من كتاب أو سنة سواء كان مذكوراً في الكتب السماوية السابقة أو كان مأثوراً عن الأنبياء السابقين .

وَتُؤْمِنُ الْفَرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ^(١) ^(٢) .
 وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ ^(٣) ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ .
 فَالْدَّرَجَةُ الْأُولَى : الْإِيمَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالْخَلْقِ ، وَهُمْ ^(٤) عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ
^(٥) الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا ^(٦) ، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي
 وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ .

ثُمَّ ^(٧) كَتَبَ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ .

فَأَوَّلُ ^(٨)

(١) الإيمان بالقدر : هو الإيمان بعلم الله السابق للأشياء ، وكتابته لها في اللوح المحفوظ ، ومشيتته لها ، وخلقها لها ، سواء كان المقدور خيراً أو شراً ، أما قدر الله فكله خير محض .
 انظر : جامع الرسائل لابن تيمية ٣٥٥/٢ ، شفاء العليل لابن القيم ص ٧٧ ، لوامع الأنوار للسفاريني ٣٤٨/١ .

وله مراتب أربع :

١ . علم الله للأشياء قبل وقوعها .

٢ . كتابته لها في اللوح المحفوظ .

٣ . مشيتته لها .

٤ . خلقه لها .

(٢) قد يذكر بعض أهل العلم كشيخ الإسلام وابن القيم أن أصول الإيمان خمسة ولا يذكر معها الإيمان بالقدر ، وذلك لأنهم يدخلون الإيمان بالقدر في الإيمان بالله ، لأن مراتب الإيمان بالقدر داخلية في صفات الله .
 انظر : مجموع الفتاوى ١٣٤/١٤ ، الصواعق المرسلة ١٢١٣/٤ ، مدارج السالكين ٢٨٧/٣ ، مفتاح دار السعادة ١٥٦/١ .

(٣) قسمها إلى درجتين لأن الدرجة الأولى قبل وقوع المقدور ، والثانية مقارنة لوقوع المقدور .

(٤) في المخطوط : [علم ما الخلق] ، وكذا في ((الفتاوى)).

(٥) أي أن علم الله قديم وليس حادثاً كما تقول القدرية : إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها .

(٦) والمسلمون يعلمون أن الله عالم بالأشياء قبل كونها بعلمه القديم الأزلي الذي هو من لوازم نفسه المقدسة لم يستفد علمه بها منها (جامع الرسائل ٢٥٤/١ .

(٦) أزلاً في الماضي ، وأبداً في المستقبل .

(٧) أما وقت الكتابة فقد جاء في صحيح مسلم رقم (٦٩١٩) : (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ : كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) .

(٨) رويت كلمة (أول) بالنصب وبالرفع :

فبالنصب يكون المعنى : حين خلق الله القلم قال له اكتب ، كما تقول : أول ما قدمت من السفر صليت ركعتين ، وهو اختيار شيخ الإسلام .

وبالرفع يكون المعنى : أول مخلوقات الله مما نشاهده هو القلم .

مَا (١) خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٢) (٣).

فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيََتِ الصُّحُفُ (٤)؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج/ ٧٠] ، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد/ ٢٢] وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً (٥) :

– وقد اختلف السلف في أيهما خلق قبل الآخر العرش أم القلم على قولين :
١/ أنه العرش ، وهو اختيار أكثر السلف واختاره شيخ الإسلام وابن القيم وابن أبي العز وابن عثيمين وهو الأقرب .

٢/ أنه القلم ، وهو اختيار بعض السلف كابن جرير الطبري وابن الجوزي والألباني .
ومما يدل على وجود مخلوقات مثل العرش قبل القلم ما جاء في صحيح مسلم رقم (٦٩١٩) : (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ : كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ، ففيه أن الكتابة تمت بالقلم وأن العرش والماء كانا موجودين قبل ذلك .

(١) على نصب (أول) تكون (ما) مصدرية ، والتقدير : حين خلق الله القلم قال له اكتب .
وعلى رفعها تكون (ما) موصولة ، والتقدير : أول الذي خلق الله القلم .
(٢) فهذا يدل على أن غاية ما كتبه القلم في اللوح المحفوظ هو إلى يوم القيامة ، وما بعد ذلك غير داخل فيما كتبه القلم في اللوح المحفوظ ، كما هو ظاهر لفظ هذا الحديث .
(٣) أخرجه أبو داود رقم (٤٧٠٠) ، والترمذي رقم (٢١٥٥) وصححه الألباني .
ولفظ أبي داود (إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) .
ولفظ الترمذي (إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد) .

(٤) كما في حديث ابن عباس المشهور (احفظ الله يحفظك) أخرجه أحمد رقم (٢٦٦٦) ، والترمذي رقم (١٠١٥) ، وصححه القرطبي في التفسير ٣٩٨/٦ ، وصححه السخاوي في المقاصد الحسنة (٨٦/١) ، وحسنه العجلوني في كشف الخفاء (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢) .
(٥) التقدير أنواع :

- ١/ تقدير أزلي ، وهو ما كتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات بخمسين ألف سنة .
- ٢/ تقدير عمري ، كما في حديث ابن مسعود (فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد) .
- ٣/ تقدير سنوي ، كما قال تعالى في ليلة القدر : { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } [الدخان: ٤] .

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ .
وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ،
فَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ.. (١) وَنَحْوَ ذَلِكَ.
فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ (٢) .

٤/ تقدير يومي , كما قال تعالى : {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: ٢٩] .
(١) كما في حديث ابن مسعود أخرجه البخاري رقم (٣٢٠٨) , ومسلم رقم (٢٦٤٣) .
ولفظ البخاري : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح) .
ولفظ مسلم : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد) .
(٢) قال هراس في شرح الواسطية : (ومنكر هذه الدرجة من القدر كافر؛ لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع) .

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَرِيدُ^(١) (٢)، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، مَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

(٣) وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفُسَادَ.

(١) في المخطوط: [ولا يكون في ملكه إلا ما يريد]، وكذا في ((الفتاوى))، لكن بدون حرف العطف الواو.

(٢) أي الإرادة الكونية .

(٣) لما قرر الشيخ رحمه الله القدر بمراتبه الأربع : العلم، والكتابة، والمشيئة والإرادة، والخلق والإيجاد ، بين هنا أنه لا تعارض بين ذلك وبين كونه أمر العباد بطاعته ونهاهم عن معصيته، ولا بين تقديره وقوع المعصية وبغضه لها ، ولا تعارض في ذلك بين شرعه وقدره .